وداد البرغوثي

بطاقة

وداد عاد البرغوثي من مواليد ١٩٥٨ في قرية كوبر /محافظة رام الله المحتلة.

درست الصحافة في جامعة موسكو. وحصلت على الماجستير منها عام ١٩٨٤ ثم على الدكتوراه من جامعة كوبان الروسية في العام ٢٠٠٦.

عملت في الصحافة لمدة ١٨ عاما وما تزال. وتعمل محاضرة في قسم الإعلام في جامعة بيرزيت منذ العام ٢٠٠٠ وما تزال على رأس عملها.

لها عدد من الأعمال الأدبية في الشعر والقصة القصيرة والرواية والمقال وغير ذلك.

صدر لها روائيا: حارة البيادر - ذاكرة لا تخون - تل الحكايا - الوجوه الأخرى.

*** هل يمكن بداية ان نتحدث عن البدايات والمؤثرات التي لعبت دورا في توجهك نحو الإعلام والأدب..؟**

طفلة ولدت في قرية اسمها كوبر، إحدى قرى شمال غرب رام الله عام ١٩٥٨ لأب محكوم بالسجن لمدة ١٥ عاما بـ "جناية" الشيوعية. ولدت بعد اعتقاله بسبعة أشهر، لم تره الا عندما بلغت الثامنة من عمرها حين صدر العفو الملكي عن السجناء السياسيين، أما أمي فامرأة بسيطة تربت في كنف أعمامها في عائلة ممتدة، لأن أباها سافر إلى كولومبيا وهي

لم تكمل عامها الأول، حين دخلت المدرسة الابتدائية في القرية كان يحلو لي بعد أن أصبحت قادرة على فك الحرف أن أقرأ القصائد والقصص من كتب عمي الذي كان طالبا في الثانوية. عندما أفرج عن والدي أصبح بين فينة وأخرى يحضر إلى البيت بعض الكتب. كنت أحاول قراءتها وكأني أختلس شيئا ليس لي، ظنا مني أن والدي يغضب من ذلك، لكنه حين اكتشف أنني أقرأ ما يحضره - وكان قي غالبه وعلى قلته كتبا أدبية - أثنى علي وشجعني، وأصبح كلما أتيحت له فرصة ينظر إلى كتبي ويشجعني للإقبال على التعلم والمطالعة. بالمناسبة أبي لم يكن متعلما. لكن السجن كان بالنسبة له مدرسة تعلم فيها الكثير وكتب فيها الشعر وتعلم بعض اللغات الأجنبية. ثمة حاجز كبير بيني وبينه، فهو بالنسبة لي كان شخصا غريبا طارئا على بيتنا. لكن اعتقاله الثاني عام ١٩٧١ واعتقاله الثالث عام ١٩٧٤ وبداية تفتحي على الهم الوطني العام بدأ يزيل هذا الإحساس بالغربة، أو يخففه. بدأت أنظم الشعر وأكتب القصص سواء كان حاضرا أو في سجنه. وانكببت على قراءة الأدب الفلسطيني والعربي والأدب الثوري العالمي ثم بدأت بنشر بعض ما أكتب في الصحافة. كان لوالدي ومواقفه الوطنية وتشجيعه وتذوقه العالي للشعر وقدرته الفائقة على التقاط أي كسر في وزن القصيدة بمجرد أن يسمعها كل ذلك كان له أثره الكبير على توجهاتي الأدبية والفكرية، ليس من منطلق " كل فتاة بأبيها معجبة" لكنه رحمه الله كان تقدميا سابقا لعصره. فيكفي أن أقول أنني أول فتاة من قريتي تدخل الجامعة بفضل والدها وأفكاره التي استعصت على الناس التقليديين فقاطعه بعض الذين راهنوا على فشل التجربة. واعتبروا موقفه ضربا من الجنون. أليوم وأنا أعمل في تدريس الصحافة وبعد مرور ٣٥ عاما على دخولي الجامعي أرى بعض طلاب وطالبات الجامعة يعانون من عقلية آبائهم المتعلمين وأفكارهم المتزمتة ويقطنون المدينة.

الغربة في موسكو منذ عام ١٩٧٨ حتى ١٩٨٤ والإحساس الدائم بالحنين للوطن، لتراب قريتي وأشجارها وزرعها، ما عانيته وأسرتي ووطني وأنا شخصيا من الاحتلال كل ذلك كان له كبير الأثر. أما غربتي الثانية في روسيا من أجل الدكتوراه فقد أتاحت لي وقتا وخلوة للكتابة فأنجزت روايتيّ الأخيرتين تل الحكايا والوجوه الأخرى.

*** بصراحة.. عندما بدأت بوضع الأسئلة احترت كيف أتوجه إليك..شاعرة و كاتبة أغنية او روائية او صحفية..او باحثة.. أين تجدين وداد البرغوثي..وكيف ترين تأثير الصحافة على الأدب عندك..؟**

أضف إلى ذلك أنني منذ ١٣ عاما أعمل بتدريس الصحافة والإعلام في جامعة بيرزيت. ،مضافا إليها أنني وزوجه وفلاحة تمارس دورا فلاحيا لا يقل عن دور الكثيرين من فلاحي قريتي وأصنع أيضا بعض الأدوية من الإعشاب. وأؤكد أنني أجد نفسي في كل ذلك.ليس مبالغة، لكنني لا أستطيع أن أحدد شيئا باعتباره الأقرب إلى نفسي أو هو المعبر عن شخصيتي.فلكل مجال من هذه المجالات صدى في نفسي، وملمح في شخصيتي البسيطة جدا، أما عن تأثير الصحافة على الأدب فلها جانبان: سلبي وإيجابي. السلبي يتمثل في تأثير لغة الصحافة التي اعتدتها، فقد تأتي أحيانا على حساب اللغة الأدبية، أنا شخصيا أجد في ذلك أيضا شيئا إيجابيا، وهو البساطة التي جعلت ما أكتبه قريبا من الناس البسطاء في القرية. يفاجئني الكثيرون الذين ألتقي بهم وأعلم منهم أنهم قرأوا لي شيئا ما وأحبوه، في حين لم أكن أتخيلهم يقرأون. بينما أجد كثيرا من الكتاب الذين لا يمارسون في حياتهم الا الكتابة لم يسمعوا بي. قد يزعجني هذا، لكن سعادتي بمحبة الناس البسطاء أكبر بكثير من انزعاجي ذاك. أما ما هو إيجابي في الصحافة، فهو أنها تزودنا بالوقائع

التي تنبني عليها الأعمال الأدبية أو بعضا منها. وما هو في المنطقة الوسطى بين الايجابي والسلبي فهو أن ما نعجز عن نشره في الصحافة بسبب كوابيس الرقابة المتعددة نستطيع أن نكتبه في الأدب بحرية.

*** تعتمدين كثيرا على السيرة الذاتية في رواياتك..وهو توجه أخذنا نلحظه بكثرة مؤخرا وسط الروائيين العرب..كيف ترين هذه الظاهرة..؟**

هذا صحيح، ولا أدري إن كان هذا ملمحا إيجابيا أو سلبيا، أترك ذلك للنقاد، لكن أي كاتب كبيرا كان أم صغيرا في كل مرة ينتج عملا يكتب شيئا من ذاته. إذا كانت ذات الكاتب جزءا من الكل العام فلا أرى في ذلك ضيرا ولا مأخذا، فهو هنا يمزج بين الخاص والعام. أما إذا كان غارقا في الذاتية فهذا ربما سيضيف عزلة إلى عزلته. فقد يتقبله قراؤه مرة لكنهم غير مستعدين لتقبله دائما. لأنه لا يوجد من هو مستعد لتكريس ذوقه على الدوران في فلك كاتب لا يدور الا حول ذاته.

*** تعرضت في روايتك (تل الحكايا) بكثير من الدقة إلى التهميش والاهمال الذي يتعرض له بعض المناضلين الفلسطينيين.. (أكلوه لحما ورموه عظما)..؟**

نعم هذا صحيح، وليس فقط بعض المناضلين الفلسطينيين بل والعرب. وذكرت في الرواية ذاتها الكاتب الروائي مؤنس الرزاز الذي كتب ما يفهم أنه كتب عن والده منيف الرزاز في رواية أو أكثر. هؤلاء كثيرون ومنتشرون في أرضنا، وما كتبه عبد الرحمن منيف في شرق المتوسط مرة أخرى، وصنع الله إبراهيم في رواية وردة، ويوسف القعيد في يحدث في مصر الآن وغيرها سوى بعض تعبير عن هذا الإهمال. والتاريخ الذي لم يؤرخ حافل بمثل هذه الحالات.

*** لعل من أكثر الإشكاليات المطروحة، علاقة المثقف مع السلطة السياسية.. كيف ترين هذه العلاقة..؟**

كما ذكرت أنها علاقة إشكالية، لكن ما يخرجها من إشكاليتها عن أي مثقف نتحدث وعن أية سلطة. فالمسألة ليست مطلقة، فثمة فرق بين مثقف يسبق السلطة في رؤيته للتغيير أو يتماثل معها إن كانت سلطة غير معادية للتغيير الايجابي، و مثقف آخر يتذيل بالسلطة أية سلطة ثورية كانت أم رجعية ويتمسح بها ويطلب رضاها. المثقف الطليعي هو الذي يساند السلطة إن كانت ثورية ويناهضها إذا كانت تريد توقيف الزمن على وجودها أو تعيده إلى الوراء، يناهضها بقلمه وبموقفه ويستعد لدخول السجن أو الموت أو المنفى من أجل أن يبقى صوتا عاليا للثائرين ويعبر عن همومهم وقضاياهم. أما من يتمسحون بالسلطة خوفا وجبنا ويشكلون من أنفسهم رقباء على أنفسهم، فهؤلاء أكثر شراً وبؤسا ممن يرفعون سيوفهم على رقاب الثائرين، حتى وإن كانت السلطة السياسية مقبولة. فهم مستعدون لأن يميلوا حيث تميل الريح.

الرقابة على الثقافة أنواع، أكثرها بؤسا وقبحا هي الرقابة الذاتية، فهي تدجين للنفس البشرية وترويض لها كما تروض الحيوانات على قبول من يرمي لها عظمة أو كسرة خبز،

*** الرواية كجنس أدبي لها إشكاليتها الخاصة من حيث اهتمامها الأساسي بأحداث وأبطال لهم أفكارهم ومعتقداتهم، وللكاتب أيضاً أفكاره ومعتقداته.. وبالتالي في روايات السيرة الذاتية، أو السيرة الغيرية، كما في روايتك تل الحكايا.. هل يمكن ان يكون الكاتب محايدا في تسيير أحداث أبطال روايته..؟**

دعني أؤكد على حقيقة أن لا حياد في الثقافة ولا في الصحافة.

فالحياد أكذوبة يروج لها المنحازون لمواقفهم وأكاذيبهم غير المحايدة. في روايتي " تل الحكايا" كنت منحازة لمناضل لم يحد عن دربه النضالي. لكن انحرافا ما في زمن ما عند رفاقه أو بعضهم جعلهم يجحفون بحقه وحق سواه. اعتقد أنني انحزت للمظلوم. وحين يكون هناك ظالم ومظلوم فإن الحياد لن يكون حيادا أو عدلا بل سيكون انحيازا للظالم على حساب المظلوم، وبالتالي مشاركة في الظلم، أو سكوت عن الظلم. الانحياز للحقيقة رسالة. والحياد أيضا رسالة مفادها أن أترك المظلوم وحده في مواجهة الظالم. أنا ضد الحياد.

وهذا مقطع قصيدة كتبتها في مطلع الثمانينيات:

أنا ضد جغرافية الكون الرمادي

أنا ضدهم يا موطني

يا حلم كل الأغنيات الراحلات

من الوريد إلى الوريد من الفؤاد إلى الفؤاد

أنا ضد تأليه الخيانة ضد تزيين التمادي.

الرمادي هنا هو الحياد الذي أرفضه منذ زمن طويل ولم يتغير موقفي بعد ذلك.

ما هو مؤكد في رواية تل الحكايا أن نسبة الحقيقة تصل إلى مئة بالمئة إذا لم نحسب تغيير الأسماء.

※ يغلب الطابع الإيديولوجي على مجمل أعمالك.. الأمر الذي يدفعني للسؤال عن مفهومك للالتزام.. وما الذي تريدين أن تقدميه من خلال أعمالك بشكل عام.. وما هو المطلوب من الرواية أساساً.. تشخيص الواقع وطرح الأسئلة.. أم إيجاد الحلول..؟

قد لا أجافي الصواب إن قلت: أن من العبث تحديد مهمة ما للرواية. وكل كاتب لالتزامه بمواقفه نصيب فيما يكتب،وأنا لست استثناءً. فربما تكون مهمة الرواية والمطلوب منها كل ما ذكرته في سؤالك، تشخيص الواقع وطرح الأسئلة، والبحث عن الحلول، وتغيير الواقع وربما ما هو أكثر من ذلك وربما غير ذلك؟ من يحدد؟. قد تكون بعض الرؤى النقدية مجافية للحقيقة حين تحمل الرواية أكثر مما تحتمل. فالرواية رسالة يريدها الكاتب لفئة ما، لمجتمع ما،أو لشخص ما أو سلطة ما أو هو وحده من يختار "المغلف والطابع البريدي" الذي سيوصل بهما الرسالة إلى جمهوره. لكن لا أحد يستطيع أن يطلب منه أن يضع في المغلف الذي اختاره لرسالته طردا كبيراً أكبر مما يتسع المغلف. وهذا دأب بعض النقاد الذين لا يحاكمون العمل كعمل ولكن يحاكمونه بناء على ما يريده الناقد من الكاتب. وبالمناسبة كثير من النقاد يعتبرون عملاً ما لكاتب فتحا أدبيا مبينا، ويرون عملا مشابها وربما أكثر جودة لكاتب آخر أقل حظوة عندهم سقوطا أدبيا. لا عدالة في النقد، وأحيانا هناك شخصنه وهناك ركوب موجة ما.

*** رأى بعض النقاد ان اللغة الصحفية التقريرية والمباشرة غلبت على (تل الحكايا).. كما كان أسلوب الحكاية طاغيا فيها..ما قولك..؟**

أجبت على جزء من السؤال في إجابتي عن أسئلة سابقة. ولكن دعني أكشف سرا إن قلت أنني عشت ولم أزل هاجس فقدان الذاكرة في بعض الأحيان، وهذا الهاجس ليس مرضيا وليس تشاؤما ولا تطيرا. فقد كدت أصاب بذلك عام ٨٨ حين ضربني جنود إسرائيليون بخوذهم الحديدية ورشاشاتهم على رأسي فهشموا جمجمتي وحصل نزف في الدماغ وشلل مؤقت لما يقارب الشهرين في النصف الأيسر من الوجه. نجوت من

فقدان الذاكرة بأعجوبة كما قال الأطباء في حينها. هذا الهاجس يلاحقني، لذلك أحاول كلما أتيحت لي فرصة للكتابة أن أفرغ ذاكرتي قبل أن يصيبها التلف. فما أن أتيحت لي هذه الفرصة في خريف عام **٢٠٠٥** وشتاء وربيع **٢٠٠٦** في روسيا حتى قررت في الوقت الممكن خلال كتابتي للأطروحة الدكتوراه أن أكتب روايتين بالتزامن هما "تل الحكايا" و "الوجوه الأخرى" واستكمال لأطروحة الدكتوراه إضافة إلى مجموعة من المقالات والقصائد وقراءة العديد من الكتب في فترة لم تتجاوز ستة إلى سبعة أشهر. وهذا وقت أدعي أنه قياسي لإنجاز ما أنجزت. ومع ذلك وجدت كثيرين أحبوا هذه الرواية وبعضهم فضلها على الوجوه الأخرى.لم أستطع خلال كتابتها أن أغادر الواقع ولو للحظة. ولذلك كتبتها كما تقتضي الوقائع دون زيادة أو نقصان وبأقل قدر من التدخل.كانت شفافة لدرجة أن كثيرين ممن قرأوها استطاعوا أن يحددوا أن فلانا في الرواية هو فلان الفلاني من القرية، مع اختلاف طفيف في الأسماء لم يمنع الناس من معرفة الأشخاص الحقيقيين لشدة الشبه حتى في الأسماء. أصبت أم أخطأت في ذلك؟ ببساطة أقول لست أدري.هكذا أردتها أن تكون وهكذا كانت.ربما كانت تحتاج لوقت أكبر. لكنني خفت من التأجيل للأسباب سالفة الذكر.

*** رواية (الوجوه الأخرى) جاءت مختلفة وأكثر حداثية على الصعيد التقني (التداعي والاستحضار)، واستطاعت ان تكشف الجوانب الإنسانية المغيّبة في حمى الانشغال بالراهن الآني، كما استطاعت نقل الوجه الآخر لكل شيء بدقة متناهية..؟**

الوجوه الأخرى بالنسبة لي رواية مختلفة ورسالة مختلفة وأدوات مختلفة. كان الواقع منها مدعوما بكثير من الخيال،وكانت هناك عمليات تفكيك وتركيب كثيرة في خلق شخصيات الرواية وأحداثها، بمعنى إعادة

خلق الواقع بتدخل. ثمة قصة محورية حقيقية تعرفت على صاحبها "عصمت الندام" ذات يوم أثرت في تأثيرا شديدا فأردت أن أضفي لها من اشتقاقات الخيال ما ينقل تأثيرها علي إلى القارئ، ولأنني أردت للرسالة أن تصل بأفضل وجه فقد بذلت فيها ما لم أبذله في تل الحكايا. كنت أكتب صفحات من تل الحكايا، وعندما أتعب أو أمل أجد راحتي في متابعة الكتابة في "الوجوه الأخرى" والعكس صحيح. مسؤولية الكاتب تجاه ما يكتب، وعمن يكتب، وتجاه القارئ وتجاه أبطال الرواية هي التي تخلق الشكل والأداة والتقنية المناسبة لفحوى الرسالة. أعتقد أنني في هذه الرواية استطعت توظيف أشياء كثيرة منعت نفسي من توظيفها في تل الحكايا. غصت عميقا في العوالم الداخلية للناس. وهذا ما لم أستطعه في تل الحكايا، فقد كنت أكتب عن أناس معروفين وأردتهم أن يكونوا معروفين وواضحين، فقط جردتهم من سلاح محاسبتهم لي وهو الأسماء.

※ لفت نظري في هذه الرواية الأسماء مثل (عصمت الندام) والذي يشير إلى الندم.. الا ترين معي في اختيار مثل هذه الأسماء نوعا من التوجيه والمباشرة التي كنا نلحظها في كتب الأطفال..؟

حقيقة كانت المسألة مصادفة بحتة. لم يكن استخدام الاسم في البداية بقصد التوجيه ولا المباشرة ولا حتى الإيحاء، لكنني كنت أبحث عن اسم ما لعائلة غير موجودة في فلسطين حتى لا يظن أحد أنني أسأت له ولعائلته. وبعد جهد جهيد عثرت على هذا الاسم، كتبته ورددته وقررت أن استخدمه، استعذبته ولما فكرت فيه وجدت أنه مرتبط بشدة الندم. فتمسكت به لا بقصد التوجيه.

※ قليلة هي الأعمال استطاعت تناول مسألة العمالة للاحتلال بهذا الأسلوب الروائي الممتع وتسليط الضوء على ما يتعرض له

الساقط في براثن العمالة من ضغوط نفسية، ومن إذلال على أيدي جلاديه،وعلى أيدي ضحاياه أيضا..كيف تنظرين إلى هذه المسألة وانعكاسها على أبناء العملاء وزوجاتهم وأسرهم ولاسيما وأنت في الداخل الفلسطيني حيث تعايشين مثل هذه الحالات..؟

نظرتي إلى هذه المسألة هي ما حاولت إظهاره في الرواية. أشعر بإشفاق شديد على ذوي العملاء والمسقطين، فهي مصيبة لا تعدلها مصيبة، الموت أرحم كثيرا من هذا العار. أصعب إحساس يصيب المرء حين يقف على شفا حفرة من الحب والكراهية تجاه قريب أبنا كان أم أبا أخا كان أم أختا، هذا الشخص الذي تحبه لأنه أخوك أو أبوك أو قريبك أو حبيبك وتكتشف فجأة أنه لا يمكن لك أن تبقي على حبه، وأن هذا الحب سينقلب إلى كراهية تتمنى موتك أو موته لتسدل ستارا على هذا الفصل من حياتك. هذا ما كنت أراه في أعين هؤلاء الناس. لا يستطيعون التعبير عنه بصوت عال كما أنهم لا يستطيعون الكف عن التفكير باعتباره كابوسا. العمالة وصمة عار ونار لا تمس العميل وحده بل تحرق الكثيرين ممن حوله، إنه جرح في اليد، يمنعك من إغلاق كفك ويمنعك من بسطها، لأنه في الحالتين يؤلمك. والمجتمع قاس، لا يعطي البريء حق الدفاع عن نفسه أو إثبات براءته. ثمة فصيل وطني يساري فهم هذه القضية أكثر من غيره. وحاول إنقاذ أبناء وبنات لعملاء وانتشالهم قبل أن يقعوا في براثن العمالة أو تحت تأثير العملاء. الاحتلال قذر، يحاول كسر من لا يستطيع كسرهم بالعنف، فتأتي أحيانا الطعنة من الخاصرة. كما فعل مع ابن المناضل حسن يوسف الذي أوقعوا ابنه الأكبر في حبائلهم. الفصيل اليساري المذكور تعامل مع الظاهرة بجرأة. فهناك من تزوج فتاة وأبعدها عن بيئتها الموبوءة بالعمالة، وهؤلاء الضحايا أحيانا يبحثون عن متنفس يستطيعون من خلاله أن يثبتوا وطنيتهم وبراءتهم. فمنهم من التحق

بفصائل العمل الوطني ونفذوا عمليات جريئة أعلنوا من خلالها وقبلها القطيعة مع ذويهم العملاء وارتفعت قيمتهم في عين المجتمع.

※ لفت نظري عدم وجود فواصل رقمية او فصول في هذه الرواية..؟

لذلك قصة أتمنى إلا تحدث مع أحد. كانت الرواية منجزة، أرسلت "تل الحكايا" لعدد من دور النشر، وأخبرتهم عن "الوجوه الأخرى" وصلني عدد من الردود، كان أهمها بالنسبة لي رد دار الخيال الذين أشادوا بالرواية وتحمسوا لنشرها وطلبوا أن أرسل الثانية فربما ينشرون الروايتين في نفس الوقت. كانت فرحتي لا تقاس. فتحت جهاز الكمبيوتر فوجدت أن الملف " الوجوه الأخرى" قد ضربه فيروس. وكان عبارة عن مئات من الصفحات المليئة بالرموز والأحرف والأرقام وبالألوان، ولا وجود للرواية. فتحت الفلاش ميموري وإذا بالنسخة المحفوظة مثلها، كل محاولاتي لاسترجاع الرواية باءت بالفشل. بكيت حينها واعتبرت ما أصابني مصابا جللا، ظللت أحاول وأحاول بلا جدوى، ضاعت الرواية، ماذا سأفعل؟ ماذا سأقول لدار الخيال؟ وأنا لست من جيل التكنولوجيا. والرواية كتبتها مباشرة على الكمبيوتر. بعد أن بدأت استوعب الصدمة، عدت لفتح الملف وبدأت أتابعه سطرا سطرا، فإذا بي اكتشف بينها، جمله هنا في صفحة وسطرا هناك في صفحة أخرى وكلمة في مكان وسطرين في مكان آخر، بدأت أقرأ وإذا بالرواية كلها مبعثرة بشكل تسلسلي. فوضعت طعام إفطاري بجانبي ووضعت كل ما يلزمني وجلست من الساعة العاشرة صباحا حتى الخامسة من فجر اليوم التالي وأنا أنسخ كل كلمة وكل سطر أجده وألصقه في ملف جديد (نسخ ولصق، كوبي وبيست) حتى جمعت الرواية كاملة، فضاع الكثير من الفواصل والنقط وعلامات الترقيم. ولم أتمكن من إعادة القراءة والتأكد

والعثور على ما نقص. لم يكن لدي الوقت الكافي لذلك، كنت أستعد للسفر من روسيا إلى فلسطين ولم أرد أن أفوت فرصة إرسال الرواية إلى دار النشر.

*** يلاحظ حضور المرأة بقوة في أعمالك، وبعكس العديد من الكتاب، أعطيت المرأة الفلسطينية دورا أساسيا. سواء على الصعيد السياسي او الثقافي وحتى على الصعيد الإنساني..؟**

حين يقصر الرجال في إبراز دور المرأة ويجحفون بحقها نغضب منهم وعليهم، فماذا لو قصرنا نحن النساء؟ وهل جائز لنا أن نفعل؟ لقد ولدت لأسرة ليس فيها أبناء ذكور، ولما كان أبي محكوما بالسجن خمسة عشر عاما فلا أمل للأسرة في الإنجاب بعد ذلك. لذا كانت أمنية الكل، القريب منهم والبعيد أن يكون المولود ذكرا، وجئت أنا على عكس ما تمنى الجميع. ظللت أحمل ذنب كوني أنثى في طفولتي وفي صباي. كل شخص في القرية يراني يقول: حرام لو الله أعطى أمك ولداً بدالك؟ وغير ذلك من العبارات التي جعلت السؤال عن سبب التمييز محمولا على كتفي كصليب المسيح. هذا سر ولائي لجنسي وإحساسي بالمسؤولية تجاه المرأة وقضاياها، أقله أن أعبر عن هذا الموقف كتابة.

*** وكيف تنظرين إلى ما حققته المرأة الفلسطينية في الداخل على الصعيد الأدبي..و هل ترين أنها تأخذ حقها في الحضور..؟**

لقد أنتجت المرأة الفلسطينية أعمالا أدبية عظيمة في مجال الرواية والقصة والقصيدة،كفيلة أن تجعل حضورها كبيرا. لكن هذا الحضور لم يكن كافيا، ولا ملائما لجملة من الأسباب، أولا أن الهم الوطني العام يطغى على كل شيء، فحضور الكاتب ليس ملائما ولا كافيا فما بالك بحضور المرأة في مجتمع ذكوري، تظهر فيه الهيمنة في البيت وفي النقابة

وفي المؤسسة الثقافية وفي السلطة وفي الأعلام وفي كل شيء. حضور المرأة في كثير من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية هو حضور كرنفالي لمرة واحدة في مناسبة ما، قد يكون عيد المرأة أو عيد الام وأنا أعتبر شهر آذار دائما شهر العسل بالنسبة لحضور المرأة في الإعلام. فمرة طلبت مني إحدى الصحف أن أكتب مقالا عن يوم المرأة كان هذا في عام ٢٠٠٠ فكتبت قصيدة بعنوان: ليس هذا الليل في الربع الأخير: هذا هو المقطع الأخير منها:

اكتبي اليوم وغني يا صحافة

عن نساء معجزات

عبقريات، أسيرات، شهيدات وعما

تبدع المرأة في دنيا الثقافة

هو يوم فاكتبي ما شئت عنا يا صحافة

جاملينا... دللينا...

عاملينا بلطافة

وانشري عنا كما لو أننا كنا خرافة

هو يوم كل عام فاكتبي عنا أثيري

زوبعات الحب والأحلام

والعمر الغرير

فغدا يمضي فلا عيد ولا كان وكنا

لا قوانين لتحمي حقنا وتذود عنا

دربنا ما زال صعبا وطويلا

شمري يا أخت عن زنديك سيري

واحسبي للشوك في الدرب حسابا

واستعدي للمسير

دربنا ليس موشى بالحرير

ليس هذا الليل في الربع الأخير

*** ما هي العقبات التي تواجه الأدباء والكتاب في الداخل الفلسطيني..سواء على صعيد النشر او التوزيع.. هل هناك معاناة مختلفة للأديبات مثلا..؟**

هناك أزمة تواجه الأدباء والمثقفين بالمجمل ذكورا وإناثا، لكن المرأة تعاني معاناة مزدوجة في كل شيء، فإذا كانت المرأة مثقفة أو أديبة فهي تعاني من واحد من اثنين أو من كليهما، إما من الإهمال أو من تسليط الأضواء عليها أكثر مما تستحق، وبالتالي يستكثرون عليها أن تتناول قضاياها بجرأة، يستكثرون عليها أن تعكس معاناتها ويعتبرونها خرجت على المألوف والأدب، علما أن بعض الرجال يستخدمون لغة قد لا تجرؤ النساء على استخدام ما هو أقل منها بكثير، سواء كان ذلك في الأدب أو في السياسة أو في أي مجال كان. الهم الاجتماعي الأسري يعيق المرأة عن الإبداع بينما هذا لا يعيق الرجل، لأن مسؤولياته داخل البيت تجاه البيت والأبناء أقل بكثير من مسؤولياتها. وهذه المعاناة تنسحب على النشر والتوزيع أيضا. دعني أذكر مثالا: فزت عام **١٩٩٧** بجائزة المرأة للرواية عن روايتي الأولى "حارة البيادر"، التقيت بروائي عرف بالأمر، عرف بالخبر فهنأني وقال: لم أر روايتك، لكن إذا أحضرتها لي مستعد أن أقرأها، قلت له: لا، أريد أن أريحك من قراءتها. بينما الكاتب الرجل

تجد المؤسسة الثقافية تبرزه بحفل توقيع كتاب مثلا، أو بطباعة أو بتوزيع. علقت على الأمر مازحة ذات مرة: الحمد لله الذي لم يتقدم أي رجل لجائزة رواية المرأة وإلا لفاز بالجائزة. وهذا أيضا له علاقة بعلاقة المثقف مع السلطة.

* **هل قدر الأديب الفلسطيني أن تكون القضية الفلسطينية حاضرة أبداً في نصه رواية كان شعراً أو نثراً أو فناً تشكيلياً. وبالتالي كيف يمكن التعبير عن الذاتي والإنساني بعيداً عن السياسي..؟!**

نعم، هو "القدر أحمق الخطى"، فنحن في فلسطين لا نكون ذاتنا إذا ابتعدنا عن السياسة، وإن أردنا الابتعاد عنها تلاحقنا حيثما هربنا. فإذا كان من النادر أن تجد بيتا لم تطله هموم السياسة وممارسات الاحتلال وقمعه وعنفه، كيف يمكن أن نتفرغ لذواتنا. أنا امرأة عادية مواطنة عادية كاتبة عادية، سجن والدي ما مجموعه عشر سنوات طورد وخضع للإقامة الجبرية، وهذا معناه أن كل طفولتي مضت وانقضت وأنا لا أعرف أبي الا أسيرا أو ملاحقا، مع بداية تفتحي ارتبطت عاطفيا بشاب قريب، وكنا سنسافر للدراسة في الاتحاد السوفييتي سويا، فاعتقل وحكم بالسجن سبع سنوات، أنهيت دراستي الجامعية والماجستير قبل أن يفرج عنه، وبعد ذلك تزوجنا فطورد طيلة ثلاث سنوات، وسجن لمدة سنتين، أنا نفسي سجنت لبضعة أيام في زنزانة بسجن المسكوبية فيما كنت قادمة في إجازة صيفية من الجامعة عام ١٩٨٢ ثم منعت من السفر لمدة سنة كاملة تخللها الكثير من المضايقات، وجرحت كما أشرت سابقا في عقر بيتي عام ١٩٨٨ إبني الصغير سجن لمدة أربعين يوما وهو لم يكمل السابعة عشر وعانى من شتى صنوف التعذيب في التحقيق، إبن شقيقتي إصرار البرغوثي يقبع في السجن منذ أكثر من خمسة أعوام وهو جريح بقي في

غيبوبة طيلة ٥٦ يوما، وأمه ممنوعة من زيارته ومحكوم بالسجن لمدة ١٥ عاما، سبعة من أبناء أعمامي وعماتي سجنوا لسنوات أيضا، وبعضهم منع آباؤهم وأمهاتهم من زيارتهم، بدعوى عدم وجود صلة قرابة أو لأسباب أمنية. وأنا مجرد مواطنة عادية، ما بالك بامرأة يحكم زوجها سبعا وستين مؤبدا وخمسمائة سنة، ما بالك برجل وامرأة يسجن ستة من أبنائهم ويستشهد السابع، ما بالك بامرأة يحكم ابنها بالسجن مدى الحياة وتقطع ساقاه من جراء الإهمال الطبي في السجن، نحن يا أخي في فلسطين وطن سامر العيساوي الأسير الذي دخل شهره الثامن في إضرابه المفتوح عن الطعام حتى كتابة هذه السطور، في وطن عبد الله البرغوثي المحكوم بالسجن خمس مؤبدات و٥٠٠ سنة، نحن في وطن الشيخ فرحان السعدي الذي أعدمه الانجليز وهو في الثمانين من عمره وصائم، نحن في وطن ليلى خالد التي اختطفت الطائرات، نحن في وطن نائل وفخري البرغوثي اللذين أمضيا ٣٤ عاما متواصلا في السجون. فماذا تريدنا أن نكتب بعيدا عن السياسة؟هذه هي حياتنا الإنساني ة وهمنا الذاتي، أين هي الذات الخالصة في كل ذلك، أرأيت أنه قدر أحمق الخطى؟ناهيكم عن أن الابتعاد عن السياسة أيضا هي سياسة.

*** كيف ترين المشهد الروائي في الداخل الفلسطيني (الضفة والقطاع وأراضي الـ ٤٨).. وكيف تقارينه مع المشهد في الشتات..؟**

هناك حضور خجول للرواية الفلسطينية من حيث الكم ومن حيث الانتشار. علما أن الساحة عرفت في الوطن بتشظياته الثلاثة وبشتاته. من إميل حبيبي إلى غسان كنفاني إلى سحر خليفة ويحيى يخلف وغيرهم من الشباب وما بين هذين الجيلين أقصد جيلي. يعيب علينا الآخرون أننا في فلسطين قليلو الكتابة رغم أننا من أكثر الناس غنى بالقضايا التي تستحق الكتابة عنها .لكن جملة الأزمات التي يعاني منها المثقف الفلسطيني من

النشر والتوزيع، وهيمنة بعضهم على مؤسسة ما على حساب الآخرين،أضف إلى ذلك القلق الوجودي المتعلق بالوجود ولقمة العيش والراتب المقطوع على حد سواء، كل ذلك يجعل كثيرا من الكتاب يعدلون عن الكتابة، وهناك كتاب نشروا عملا واحدا وتوقفوا. ولا أفشي سرا إن قلت أن بعض الأدباء المرتبطين بالسلطة السياسية لا يعانون ما نعانيه نحن الكتاب الفقراء والصعاليك، فهؤلاء تكرس لهم مؤسسات ثقافية تنتظر نتاجهم لتطبع وتوزع لهم. النفاق يتغلغل في كل شيء حتى في الأدب والنقد والشعر. أعاذنا الله وأعاذكم من شره.

*** سؤال اخير. على صعيد الشعر. استوقفني لقب " شاعرة الفقراء " الذي أطلقه احد النقاد عليك..هل السبب هو عنوان ديوانك الأول أم ماذا..؟**

شرفني من أطلق علي هذا اللقب، ليس لأنه اسم ديواني فحسب، لكن الفقراء وأنا منهم،هم زيت القنديل الذي يضيء دروبي وفَتَّح عيني على الحياة وتناقضاتها، والصراعات على الأرض، وكل تبعاتها وأسبابها. لقد عشت الفقر طويلا، وعانيت منه، لقد طردت من المدرسة طيلة أسبوع كامل من أجل قرشين، وأول جورب لبسته في طفولتي كان سرقته من غسيل إحدى الأسر التي كانت تنوي السفر إلى الكويت وكنت في الثامنة أو التاسعة من عمري، وأول معطف لبسته في حياتي كان معطفا رماه رجل عجوز فالتقطته المرحومة أمي وغسلته مما تراكم عليه من بقع الزيت والغبار وخاطت منه معطفين صغيرين لي ولشقيقتي الكبرى. ذكريات لا أول ولا آخر لها، انعكس ذلك في شعري وفي روايتي وفي أغنيتي وفي أزجالي وفي بحوثي وفي ميولي وقناعاتي وشخصيتي،وبالتالي عنوان ديواني وأصبح جزءا لا يتجزأ من هويتي.

صفحة بيضاء

رقم 378